

إنهم بيروت وملحها وخبزها وعملتها الصعبة

أن تذهب الى بيروت تعيش عبء اهلهما اليومي، تنتقل بين أحيائها بالسرفيس او الباص، تلتقط هموم ناسها وقصة معاناتهم من خلال تعليقات عابرة مريرة يطلقها هذا الراكب او ذلك السائق... أن تزور جامعتها الوطنية (الجامعة اللبنانية) وترى مدى الاهمال الذي اصابها برثاثة في الهيكل والبناء والاثاث... أن تلتقي رفاق ورفيقات الامس فتقرأ في وجوههم قلق الخوف من كهولة محفوفة بالاجحاف والعقوق، عندها لن يكون ذهابك إلا رحلة ألم وإحساس بالذنب ولسان حال يقول: ما أعقني وما أوفاهم!....

أن تذهب الى بيروت وتكون تحت امرتك سيارة فارهة تنتقلك بسلاسة هادئة من بيروت الى صيدا وجونيه وطرابلس وبعبك عبر شبكة طرقات وجسور تضاهاي ما تراه في ارقى المدن الاوروبية والامريكية... أن تزور مطاعمها ومقاهيها فترحب بك على الطريقة اللبنانية المعهودة : تنوع وطيب مذاق واناقة عرض ولباقة خدمة قل ان تجد مثلها في اغنى دول العالم... أن تزور بعض الرفقة فيبذلون كل ما في وسعهم ليثبتوا لك انهم أصابوا غنى ويسر حال فاتك انت في هروبك الجبان: عندها لن يكون ذهابك إلا حمداً لله الذي ألهمك هذه الهجرة وجنبتك عيش التكاذب هذا.....

أن تذهب الى بيروت وتتمدد شمالاً أو جنوباً وترى الغزو الاسمنتي العمودي يتناول على كل ربوة وقريه ولكنك لا تعدم بعض واحات من الزيتون او الليمون يملأ شذاها الانف والعين والقلب، ان تذهب الى حفل لمرسيل خليفة فتري القاعة فاضت بروادها والتحم ناسها في حالة شجن وطني تلقائي جميل، عندها يكون لذهابك دهشة العائد بعد غياب وفرحة من لقي ضالة بعد طول بحث

على مدى ثلاثين يوماً ارتشفت بيروت وجوارها قطرة قطرة ، ارتعشت لجمالية عمرانها وانتظام كورنيشاتها وزينة اعيادها. . . دغدغت شفتي ابتسامات ساحرة لعبثية سائقيها وانتهاكهم لكل المتعارف عليه من قوانين السلامة الشخصية والعامة....حججت الى مقهى الومبي وتنشقت عبق كبرياء خالد علوان وتلمست بقدمية حجارة قلعة شقيف وانتشيت برحيق عنفوان محرريها

ومضت الايام الثلاثون ولكن اكثر ما بقي منها صورة المواطن البيروتي (اللبناني – العربي) الصامد الشاطر الذي يتحين أي مناسبة تلوح ليجد فيها فرصة لتحصيل رزقه ورزق عياله

لسائق الصامد وراء مقوده على ضالة مورده، للتاجر الصابر على ركود سوقه، للمهندس والطبيب والبروفسور الذي ارتضى بأي بديل يؤمن له رزقه ورزق عياله وما غرق في دوامات الاحباط والياس. لهؤلاء وغيرهم وغيرهن أجل وانحني . إنهم بيروت وملحها وخبزها وعملتها الصعبة

نجمه خليل حبيب

سدني أستراليا

٢٠٠٥/٥/١